عن غادة والصعلوك وسادة القبائل

قال الراوي :
كان « الفارس » ينفخ ضفدعة بالماء
يحمل سيفا خشبيا .. وعلى الكتفين عباءه ...
في فجر الاول من تشرين الاول ولدت غاده
في ليل الثاني من تشرين الثاني وئدت غاده
بعثت في زورق اغنية تنشدها منذ طفولتنا أفراح «محمد»
وأضاف الراوي :
ثار غبار حجب النهر وغطى الساحة بالكلمات الثكلى..
ويح الراوي
كيف يصير العاشق ملاحا في نهر العاصي ؟
ذكرى أيامك تتكسر في صمت الضفّه
ورؤى صحرائك تتوثب كالافق القاصي
والعاشق يعشق . لا يصرع خنزيرا شرسا
أوراق الوردة سقطت . غادة سقطت . مرّ خريف
ورياح صفراء هبت لم تبرحنا حتى الساعه
يا عاشق أن قالت غادة صدّقها .. فالصدق تقول
ان السادة ينتظرون عبور الزورق
عبر البرزخ حيث التيار المجهول
أيقظ أنفاسك يا عاشق فالليل طويل
أيقظ انفاسك ايقظنا ..
أغنية الماضي وقعت اول هبّة ريح
جرفتها الامطار الاولى
وضعتها في زاوية الحانة بين الاوراق المضطربه
قال الراوي :
وانكشف غبار الساحة عن فرس جرباء ...

* * *

يا سادة ان قالت غادة في أول تشرين الاول
أو في الثاني من تشرين الثاني
أو بعد ليالي كانون الاول والثاني ..
ان قالت غادة يا ساده
فالكلمات حروف رصاص ونحاس ..
وتكاد تكون ولاده

* * *

ولدت غاده
في مطلع فجر غجريّ يطفىء قنديلا ازرق
ينثر فوق حصير البيت البائس أضواء وتريه
يترك حول الباب عبيرا ورديا وحكايا ورديه
ضحكت غادة في أحزان هزيع لم يبرح نافذة الغرفه
صرخت ثم ابتسمت
وككل ولادة انثى
ملأ الصمت عيون القوم وتابوا لما سمعوا
ان أباها « خطّارا » قال لاهل الدار
بأن ولادة بنت في قحل الايام .. لخير ولاده
قالوا يا خطار أتعرف ماذا تعني
كلماتك في راي قبائلك المرتقبه ؟
قال : وسوف أسميها يا سادة غاده
كل قبائلكم لا تخدعني لتساوي شعره
من رأس الغجرية هذه .
قولوا لشيوخ الظل بأني
أسقط نفسي منكم وأنا لم أيبس
في هبّة ريح تحمل أغنية في زورق .
أسقط نفسي فأنا منذ الساعة صعلوك متمرد
أنقل بيتي للصحراء الفاغرة الاشداق وأنفخ
في الابواق وأطوي الفلوات الملتهبه
أحيا بين وحوش كاسرة تجعلني نفسا أقوى
أقتل منها أطعم أولادي
وأضمد جرحي بيدي الاخرى
اقتل منها في الصحراء وفي المدن المهترئه
.. يا سادة عنقي في يدكم ، لكني
لن أسمح . لن أسمح
لن أسمح ابدا يا سادة ...

* * *

كبرت بنتك في أيلول وبيتك
منتقل الاشواق
تمرح في الواحات وتهدأ في الرعب المتآكل
طورا تأكل من تمر الاشجار العالية العملاقه
حينا تشرب من نبع الافراح وتهجع قرب التل
وحينا تصعد في أنفاسك
لا تذكر غزوا أو وادا
لا تذكر « حاتم » أو عنترة الشفة السفلى
لا تذكر .. لا تذكر رغم ولاء الذكرى
في أنفاسك في دمك المتأكسج .. يا خطار
يظن السادة انك في دوّامه
— في دوّامه ؟
في صحراء وحوش جائعة رهبوا منها ...
أضحك في نفسي . تتسع الواحات بنفسي
أبصر بيداء الخوف السائب بابا مفتوحا في الشمس
سوف أعود اليكم يا أولادي المنتظرين
من مشنقة الصمت ومن منفى البؤساء
المنتقمين بضحكه ..

ها أنا أحمل بوق سعادتنا وأعود
هوذا قرن الثور سيحفظ في الصندوق
لعرس يكبر في البيداء
حتى تشرف منه كل جبال البحر الهائل

أصوات : (سبعون سنه
وسنه
وسنه
والقرن غريب عنا .. نغزو نغزى
نضع نجوم الليل على الاكتاف
ونبشر ان الليل ثقيل.. مرّ.. «فليسقط»
ونزلزل لو تسقط نجمه !!)

.. وأخيرا صار القرن معي ، قرن الثور الوحشي
قرن العرس الآتي .. يا ساده

أغنية : (يا صعلوك الفجر أنا مثلك صعلوك حسب العاده
هيا ندعو للعرس صعاليك القفراء ..)
.. يا غادة ما بالك
أنت كبرت الآن وصارت كل الصحراء العربيه
في صندوق جهازك . لا .. لا تكفر يا خطار
بنتك يلزمها ... ان تعزف بالقرن اللحن الاعظم .
(سبعون سنه
وسنه
وسنه ..)
بنتك ؟.. تعزف . حاول . لا
بل سوف .. هناك تمر طيور الجرد
على أنغام الصحو ويرقص غزّار في الماء ..
ـ غاده
ماذا .. تري يا وردة شباكي ؟ وحشا
ليلا . قولي أصرعه
ترين لحاهم !
وعباءات يأتزرون بها ونياقا مسرعة
وسيوفا وسيوفا
لا ...
لا يا غادة . أنت عروس الليلة
وصعاليك البرّ أتوا
ـ . . . . . .
ـ كل صنيع الا هذا
لن تمتد يدي
ان تمتد يدي ..

* * *

... وصلوا وتواروا
كانت عائلتي قربك يا نبع الواحات
وسلبوا أخضرها واليابس
.. وئدت غادة منذ الثاني ..
ومشى كانون وغادة ما زالت حيّه

الياس لحود

السماء تمطر

(١)

أنا الذي أسكن في نهاية المدينه
محاصرا في المنزل المضاء
ما بين يوم مولدي وموعد العشاء
أعرف كيف أبدأ البكاء

(٢)

يا رغبة في المنزل المجاور
تضيء ثم تنطفىء
وتهبط الستائر
أسأل كيف أختبىء
من خنجر يدور في الاحشاء
لكنني .. أعرف كيف أبدأ البكاء

(٣)

جاء دخان القاطره
وصار ضوء الشمس
محاصرا في الذاكره
على جدار القدس
وجاء من يبيعني جريدة الصباح
قرأت : ان كل ما تكرهه مباح
... ليغضب الاعداء
فانني أعرف كيف أوقف البكاء
في الليلة السوداء
وحين تسحب الورود عطرها وتمطر السماء

الكرك ـ الاردن **خلدون الصبيحي**